إنسانيات

رسم الغلاف

للواء. أحمد رجائى عطية

كلمه للمؤلف

من خلال عمر ناهز 70 عاما – كانت العين والأذن والوجدان .. تلتقط ما تلتقطه من الحياة .. بحلوها ومرها – سموها .. وانحطاطها ..

وأشكر الظروف التى مرت بى وخاصة أثناء خدمتى بالقوات المسلحة .. على أنى طويت الصحارى واخترقت الجبال وغصت فى البحار وشققت السحاب.

لكن الأهم أنه خلال عملى فى مراحل خدمة القوات المسلحة ومرحلة الحياة المدنية أنى تعاملت مع أكبر كم من البشر وذلك كقيادة ومدرب وخاصة فى مدرسة الصاعقة أو كمربٍ لأجيال فى سلسلة مدارس رجاك التى أنشأتها – فشعرت أنى .. طويت واخترقت وغصت وتوغلت داخل النفس البشرية .. مما أعطانى القليل عن هذه الطبيعة البشرية – التى وجدت أنه من الواجب أن أسجلها .. عسى أن يستفيد منها من هم بعدى فى الحياة فى سلسلة موضوعات إنسانيات أبدأها بهذا الكتاب ومنها الإنسان بين .. النظرية .. والتطبيق – القيمة والقدوة – العمر الحقيقى .. والعمر الإنجازى.

وهذا رأى شخصى .. معرض للصواب والخطأ.

أحمد رجائى عطية

2009/5/6

إنسانيات

1. الإنســان بين النظـرية .. والتطبيـق.
2. الإنســان بين القيمــة .. والقــدوة.
3. الإنسان بين العمر الحقيقى .. والإنجازى.
4. الإنســان مســير .. أم مخــير.
5. الإنســان بين المــلء .. والتفـريغ.

الإنســـان بين النظـرية .. والتطبيـق

حكمة

اعقـل أهواءك .. تمـلك نفسـك

أحمد رجائى عطية

الإنسان بين النظرية .. والتطبيق

ما الإنسان إلا كائن .. مفكر .. ناطق.

والفكر هنا ليس له إلا قناة واحدة أو وعاء واحد .. وهو المخ .. تلك العضلة الرخوية الموجودة داخل تجويف الرأس وهى مركز لاستيعاب أو لاستقبال المعلومة أو النظرية.

أما التعبير عما استوعبه المخ فيسمى بالإرسال أو التطبيق والتطبيق أو الإرسال له أكثر من وسيلة للتعبير عنه .. سواء بالكتابة أو النطق أو الحركة.

إذًا المخ ما هو إلا جهاز لاستقبال النظرية .. وتطبيق لما يعبر عنه المخ وعمومًا هو المسئول عن الاستقبال والإرسال .. وتتفاوت درجة الاستقبال بين ما يسمى بالذكاء .. أو الغباء.

وإذا أمسكنا بالاستقبال بين درجات الذكاء والغباء .. فإننا نجد ما يصل للإنسان من درجة الذكاء نسميه بالذاكرة القوية أو له عين تلفزيونية أو أذن تسجيلية .. وغالبا ما تكون هذه عقلية رياضية أو ذات ذهن صاف .. مثل العرب أيام الفترة ما بين الجاهلية والعصر الإسلامى .. وما اختصوا به من حفظ وما يتلونه من تلاوة قرآنية وأشعار .. وهذا ساعد على تسجيل القرآن الكريم بدون تحريف .. ومن الأمثلة الحديثة الدكتور طه حسين الذى اعتمد فى ذلك على استقبال الأذن فقط واستيعابه .. وغيره من المفكرين والمبدعين أمثال بتهوفن ومدام كورى .. والعكس تماما فيما يقل درجة استقباله إلى درجة ما يسمى بالغباء وبالتأكيد يتحكم فى ذلك خلل فى التكوين المخى .. أو أفضل لنا أن نسميه اختلال خلقي فى تكوين المخ .. سواء مؤقت أو دائم – والدائم هنا هو عضوى أو خلقى أما المؤقت فهو مرضى أو نفسى.

وفى حالة الاستقبال هنا وثبات المعلومة داخل خلايا المخ وتسكينها بداخله لا يشكل فائدة إلا إذا بدأ العقل يرتب هذه المعلومات ويربطها بعضها البعض ويستنتج ذاتيا معلومة أخرى أو فكرة أو نظرية ثم يضعها فى قالب الإرسال المناسب .. وهنا يقال

إنسان مبدع أو مثقف. ويعود بالفائدة على الغير .. أى أن استيعاب المعلومة وحدها بدون هذه الإجراءات لا تخلق إنساناً مبدعًا أو مثقفًا.

أما إذا أمسكنا بالإرسال هنا .. وهو أيضا عن طريق تفاعل المخ.

ولكن كما ذكرنا من قبل له أكثر من وسيله لإرساله .. إلا أن هناك عوامل خارجة عن المخ تتحكم وتؤثر فى الإرسال مثل التفاعلات الكيميائية بالجسد .. والجينات المكتسبة .. والتفاعلات المزاجية والوجدانية .. وغيرها.

والإرسال يتأرجح بين الإرسال الذكى أو الغبى .. وهنا قد تصل درجة الذكاء إلى ما نسميه المبدع أو المثقف .. وعلى العكس تماما قد يتعدى درجة الغباء إلى ما يسمى بالتهور .. أو الإسفاف .. أو الضحالة فى الفكر.

ولكن هل هناك علاقة بين الاستقبال والإرسال؟ .. بالتأكيد نعم.

والإنسان هنا بين استقبال النظرية .. وكيفية تطبيق إرسالها. فالاستقبال علاقته قائمة بين الشخص وذاته حسب درجة استقباله – أما الإرسال فله علاقة بالمجتمع المحيط بالشخص وليس ذاته فقط .. وإن كان ذلك سيعود عليه قبل الغير بالسالب أو الموجب.

وبما أن ذلك سيعود على المجتمع .. فهنا يقال أن الشخص لديه ذكاء اجتماعى .. أو غباء اجتماعى – سواء كان هذا الإرسال عن طريق الكتابة أو الكلام أو الحركة ومهما كان الشخص على أعلى درجات الاستيعاب .. وكان التطبيق فى الإرسال به غباء .. فقد أضاع كل شىء ومرفوض من المجتمع.

وعلى العكس .. فإذا كان بنسبة قليلة من الذكاء قد تصل للغباء .. وكان إرساله مصاحبا بقبول اجتماعى كان ذلك أفضل بكثير .. من الوضع الأول.

إن الذكاء والغباء الذهنى غير مؤثر بقدر ما يسمى بالذكاء والغباء الاجتماعى وفى الحالتين هناك مردود ذاتى على الشخص نفسه.

ولكن فى الحالة الثانية له مردود شخصى من نجاح أو فشل مؤثر جدًا على الشخص لارتباطه بالمجتمع.

الذكاء والغباء المخى .. هو فطرى غالبا .. ويؤثر عليه بعد ذلك الظروف التى تمر بالإنسان من ثقافة وقيم ومعرفة .. وغالبا ما يكون هذا التأثير بالموجب .. وإن كان هذا مردوده بين الشخص وذاته .. وتنميتها بالموجب ممكنة بل هو الأساس.

أما الذكاء والغباء الاجتماعى .. رغم أن مَخرجه وإرساله من المخ .. إلا أنه ليس بالضرورة الفطرية فى تواجده .. بل يعتمد على اكتسابه .. والتدريب والتعود عليه بالصورة الإيجابية وهو الإطار الذى يحدد نجاح الشخص أو فشله .. ويكون ذلك فى الدمج المبكر بالمجتمع .. وإرساء القيم الدينية والدنيوية بالإنسان.

وإذا فرضنا أن النظرية محركها الأساسى هو المخ .. بين الإدراك والاستيعاب والتسجيل .. ثم التطوير والخلق الفكرى .. نجد أن التطبيق هو .. الإطار والمحرك الفعلى .. للنظرية.

وعلى الإنسان أن يختار النجاح أو الفشل .. بين النظرية والتطبيق وإن بات واضحا أهمية الإرسال أو التطبيق .. فعلينا أن نتدارس العوامل والأسس التى تساعد على النجاح أو الفشل فى التطبيق .. وهى أعمدة الحكمة الأربعة للتطبيق (الإرسال):

1. عقل العقل (المخ) .. وعقل النفس.
2. القيم المتبعة فى الإرسال والتطبيق.
3. المظهر العام.
4. فن الاستقبال .. والإرسال.

أولاً: عقل العقل .. وعقل النفس.

عَقَلَ الراعى غنمه .. أى تحكم فيها .. وقد يصل إلى تقيدها وعقل الشىء .. أى التحكم فى الشىء بالقيد وعندما خلق الله الإنسان جعل فى الرأس المخ الذى يتحكم فى كل شىء بالإنسان .. ويقال حكم عقله أو حكَّم عقله .. ويقال إنسان حكيم. وهو رباط جسم الإنسان من حركة أو انفعال.

أ- عقل المخ ..

سمى المخ باسم عقل الإنسان .. وهو مركز التحكم والذى يعطى الإشارة (الأمر) لأى جزء فى جسم الإنسان.

والمخ فى حد ذاته له ديناميكية خاصة به من شرايين دموية وموجات كهرومغناطيسية وخلايا تتفاعل وقد تصل إلى خمسة مليون خلية لحفظ الذاكرة.

وكل خلية لها أرجل أو شعيرات قد تصل إلى عشر تحفظ هى الأخرى الذاكرة، والعقل عبارة عن فصين أيمن وأيسر والجزء الأيمن مسئول عن الجزء الأيسر فى الجسم والأيسر مسئول عن الجزء الأيمن فى الجسم وبين الجزأين (الفصين) رباط على شكل نصف قوس وعدم تواجده أو أى خلل فيه يسبب عدة أمراض منها التوحد .. وكثرة التعرج فى المخ لها فوائدها .. وأن نتيجة هذه الحركة الديناميكية فالعقل يفرز فضلاته من خلال أنبوبتين متصلتين بالحلق .. وهذا شىء من قليل وأشياء أخرى كثيرة .. وليس هذا بحثنا.

ولكن قصدت أن أوضح أن المخ فى حد ذاته له استقلالية بغض النظر عما يؤديه قبل باقى الجسم .. فالمخ وحدة .. وحدة قائمة بذاتها يمكن تغذيتها بالكثير والتدريب على جعله مؤديًا عمله بانسجام والتحكم بقدر الإمكان فى الدورة الدموية وعدم إجهاد المخ فى سرعة التفكير وسرعة اتخاذ القرارات وتدريبه على ذلك .. هذا المقصود بعقل العقل (المخ) أى التحكم فيه.

والآن .. وعندما يتلقى المخ شيئا ما (معلومة أو حدثا) .. فإن استقبال الخلايا لهذا الشىء يمثل جهدًا كبيرًا وبناءً عليه يندفع الدم فى شرايين المخ لمساعدة الخلية على هذه الحركة مهما كان هذا الشىء قليلاً أو كثيرًا يقل أو يزيد فيها اندفاع الدم إلى المخ .. تماما مثل ما يأكل الإنسان شيئاً وعندما يصل إلى المعدة يبدأ الدم بالاندفاع إلى المعدة لمساعدة حركة المعدة لإتمام عملية الهضم فإذا كان الطعام كثيرًا .. اندفعت كمية من الدم أكثر .. ويشعر الإنسان بالبرد وخاصة فى الشتاء .. وذلك نتيجة قلة الدم المندفع لباقى الجسم لتحويله إلى جزء منه وهو المعدة – تماما كما يحدث للمخ فإن

كمية الدم المندفعة له تكون حسب الشىء الذى التقطه المخ والجهد المطلوب منه للتصرف فيه وكلما طال التفكير فى كيفية التصرف ازداد اندفاع الدم إلى المخ .. وقل المندفع لباقى الجسم وخاصة الأطراف فيشعر الجسم بالبرد لدرجة أنه يمكن أن ترتعش الأطراف .. وبالتالى عدم السيطرة عليها نتيجة هذا الجهد والاضطراب. وفى المواقف الصعبة تكون الخلايا فى حركة دائمة من التفكير .. فإنه ينتج عن هذا الجهد فضلات من المخ تنصرف من خلال قنوات الصرف إلى الحلق .. ومع زيادتها يبدأ الإنسان فى بلع الريق .. ويزيد البله طينا فى حالة الاضطراب فتفرز مادة الأدرينالين سائلها داخل الفم .. فتزداد نسبة البلع .. والذى بالتأكيد سيغير فى الصوت من حيث النغم والأسلوب مع البلع المستمر.

وهنا يتصرف الإنسان فى غياب عقل المخ المرتبك بالتفكير وسرعة المرادفات للمخ والتي تزيد اندفاع الدم إلى المخ فينسحب بالتالى الدم من الجسم لمواجهة الجهد المبذول فى المخ – فيبدأ الجسم فى الاندفاع بثلاث صور إما الاندفاع للخلف والهروب .. وهنا يسمى جبنا - أو إلى الأمام وهنا يسمى تهورًا أو بعدم الحركة .. أى الانهيار سواء المؤقت أو ما يترك أثرًا فى جسمه أو المخ وهو ما يسمى بالشلل أو الصداع أو ضغط الدم سواء مرتفع أو منخفض.

قد تكون الصورة مخيفة .. ولكن بالمعرفة للأسباب لهذه الحركة الديناميكية للمخ .. والتدريب على تجنبها ممكن تخطى هذه المواقف – وهذا ما يسمى بعقل المخ.

وتتمثل فى الآتى:

- تجنب المواقف المفاجئة أو ذات اضطراب.. وإذا فوجئت فقلل من شأن الموقف بينك وبين نفسك.
- وإذا قررت .. فتجنب التردد فى التصرف أو أَجِّل التصرف تماما دون تفكير فيه.
- تجنب استمرار التفكير فى القرار الفورى.
- تدريب المخ على المواقف الصعبة والتصرف فيها .. مادامت طبيعة عملك تقتضى ذلك.

ب- عقل النفس:

فهو إحكام النفس البشرية فى التصرف الناتج عن الاستقبال وله صور عدة وهى شفهية أو كتابية أو حركية .. والفعل هنا سواء خير أو شر أو سلبى أو إيجابى يجب أن توضع له ضوابط أهمها:

– الوقت والتوقيت:

- فالوقت يجب مراعاة الوقت المناسب .. أو المدة التى يأخذها الفعل التنفيذى.
- أما التوقيت فهو يتأثر جدًا بالمكان وملابساته .. وتواجد الآخرين مع الفعل أو عدم التواجد والظروف المحيطة.

أما النفس البشرية فهى مجموعة المشاعر والأحاسيس والرغبات .. من حب وكره وعزة ومذلة ورفعة وتدنٍ وغضب وسماحة وشك وثقة وفضول وإهمال وألفة وتباعد .. وغيرها من الصفات المصاحبة للإنسان سواء المتأصلة أو المكتسبة ولكل تفرعاتها لهذه الصفات مثل الحب مثلا .. فهناك حب التملك وحب الحبيب وحب ممارسة الشىء سواء رياضة .. أو قراءة .. وغيرها .. وهكذا – ولو بحثنا مفردات هذه المشاعر والأحاسيس والرغبات .. لسوف نجد أن هذه المواصفات تُشِّكل وجدان الإنسان وشخصيته.

حيث إن هذه المشاعر والرغبات هى التى تعطى تنبيها للمخ .. فيبدأ المخ يتصرف ويرسل إشارات إلى الإنسان نفسه ومن المؤكد إن تركت هذه الأمور على علاتها .. فإنها تظهر الإنسان بشكل غير حضارى وخاصة إذا كانت فى الوقت والتوقيت غير المناسب – إن هذه الظاهرة تؤثر تمامًا فى الاستقبال والإرسال للمخ وبالذات فى الإرسال.

وبما أن هذه الصفات تتداخل فى بعضها لتولد عادات حسنة أو سيئة عند الإنسان .. فإنه يجب عدم انصياع النفس لهذه الصفات بشكل كامل ولا أطلب تجنبها بالكامل ولكن هناك الوسطية فى هذه الأمور والتحكم فيها وعدم إظهارها فى مواصفاتها أو بالشكل غير اللائق وخاصة فى حالة الإرسال.

فإن بعض من صفات النفس البشرية إذا صاحبت المرسل فى الإرسال تدمر كل شىء .. بل والشخص نفسه .. أو تحقق الهدف وترفع من مقام الراسل للفعل.

وفى هذا المجال يسمى عقل النفس أو ضبط النفس أو حكم الفعل على الإيقاع المناسب للأداء أو الإرسال.

ولكن هل ضبط النفس أو عقل النفس يأتى بالأمر المباشر من الشخص لنفسه؟ لا. بل يجب أن يعود ويدرب الشخص نفسه ويضع ذلك نصب عينيه فى أتفه الأمور.

فإذا كان ترتيب استقبال الأفعال للمخ وإعادة إخراجها أو الاستعداد السليم لإرسالها هى التى تحدد الشخص المبدع.

فإن إرسال الفعل مع التحكم وعقل النفس بالشكل المناسب هى التى تحدد أن هذا الشخص حكيم أو متهور أو مُسِف.

ثانيًا: القيم المتبعة فى الإرسال

إننا لن نجد جامعاً لهذه الإرشادات فى هذا البند مثل الأديان وخاصة القرآن الكريم والمطلوب هنا التحلي بالخصال الحميدة سواء فى الفعل أو القول.

والمعروف أن الإنسان بداخله خصال الخير وخصال الشر .. فلا تجعل رد فعل الخصال غير الحميدة بنفس الشىء – وهنا أحب أن أقول لا تجعل سفالة الآخرين تظهر سفالتك.

وكلمة التحلى بالخصال الحميدة .. هو أنك تلبس ثوب التصرف الحميد .. وأن تُعِّود نفسك عليه .. حتى لو لم تكن من خصالك – فإن هذا ليس ضعفًا بل قوة.

وأذكر هنا بعض القيم الدينية والدنيوية والتى يجب على الإنسان أن يتذكرها دائما أو يرددها .. حتى يتكون شىء ما داخل وجدانه.

– قال تعالى: " وإنك لعلى خلق عظيم" سورة القلم الآية (4).

– ثواب الصدق .. قال تعالى: "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

لهم جنات تجرى من تحتها الأنــهار خالدين فيــها أبدا رضـى الله عنهم ورضـوا عنـه ذلك الفـوز العظيم". سـورة المائدة الآية (119).

حسن الخلق .. قال تعالى: "ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فـى الأرض مرحـاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض مـن صـوتك إن أنكر الأصـوات لصوت الحمير". سورة لقمان الآية (19/18).

الصدق .. قال تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا". سورة الأحزاب الآية (23).

حسن المعاملـة .. قـال تعـالى: " ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بـالتى هـى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ومـا يلقاهـا إلا الـذين صـبروا ومـا يلقاهـا إلا ذو حظٍ عظيم" سورة فصلت الآية (35/34).

كظم الغيظ .. قال تعالى: " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" سورة آل عمران الآية (134).

الرفق فى الأمور كلهـا .. قـال تعـالى:" والـذين إذا أنفقوا لـم يسـرفوا ولـم يقتروا وكـان بين ذلك قواما" سورة الفرقان الآية (67).

الإصـلاح بـين النـاس .. قـال تعـالى: " فـاتقوا الله وأصـلحوا ذات بيـنكم وأطيعـوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" سـورة الأنفال الآية (1).

ثواب السلام علـى المؤمنين .. قـال تعـالى: " وإذا حييتم بتحيـة فحيوا بأحسن منهـا أو ردوها إن الله كان على كل شىء حسيبًا". سورة النساء الآية (86).

فالحب والعطـاء قيمـة – والحيـاء والشرف قيمـة – والصـدق والأمانـة قيمـة. والالتزام بالوعـد .. وغـيرها كلـها قيم تشكل البناء الأساسى للإرسال.

ثالثاً: المظهر العـام

إذا كانت طرق التطبيق أو الإرسال هى الكتابـة أو النطـق أو الحركـة .. فـإن الشكل أو صـور التعبيـر هـى (الرتـوش) أو الشـكل الجمـالى الـذى يجـب أن يصـاحب صـورة

الإرسال أو التطبيق .. حتى يلقى القبول من المرسل إليه أو المجتمع .. وهو ما يسمى ويوصف بالذكاء الاجتماعى. فلكل أسلوبه وآدابه وأصوله.

الكتابــة:

عنوان المرسل بالشكل اللائق للمرسل إليه.

المقدمة لا تزيد عن التحية المناسبة.

فكرة الموضوع لا تزيد عن بضع كلمات .. حتى تمهد للمتلقي الموضوع.

عند ذكر الموضوع بالتفصيل يجب أن تراعى ترابط الكلمات وسلامة العرض أو الفكرة والاختصار بما لا يفقد المعنى الأساسي للرسالة فلا يكون مختصرًا اختصارًا مخلاً بالمعنى أو يكون تطويلاً مملاً.

خاتمة الرسالة المرسلة مناسبة للموضوع.

أن يكون نوع وشكل الورق مناسبًا والكتابة وحجم الحروف مناسبا ومراعاة تنظيم الكتابة داخل الورق والتغليف المناسب إن كان هناك حاجة لذلك.

مراعاة الوقت .. والتوقيت فى تقديم ما هو مكتوب.

النطــق:

ووسيلته هى الكلام .. وهى أهم وأخطر صور الإرسال .. حيث إن الخطأ فيه صعب إصلاحه .. بخلاف الكتابة.

وأهم الصور التى يجب مراعتها لحسن التعبير:

اللبس المناسب سواء للمكان أو للمتلقى أو المناسبة أو حزم أو غضب .. والاستعداد النفسى للانتقال من حالة إلى أخرى بسلاسة وبلا انفعال أو إظهار الانفعال ويجب ألا ننسى أن البشاشة والابتسامة هى مفتاح كل العضال.

الصوت .. وهو عنصر أساسى للتعبير .. سواء من ناحية علو أو انخفاض الصوت .. وذلك حسب المكان والموضوع والمتلقى.

كما يجب الاهتمام بمخارج الكلمات والوقفات المناسبة بين الجمل .. والاختصار فى التعبير وعدم تكرار ما قيل .. ومن الخطأ أن تعتقد أن التكرار أو علو الصوت سيساعد على الإقناع.

ولنتذكر حكمة الحكيم الروسى (كرولوف) أن البرميل الفارغ يحدث ضجيجًا أكثر من البرميل الملآن.

ولكى يكون أسلوبك واضحا ومقنعا فيجب التأكيد على مخارج الكلام وخاصة آخر حرف فى آخر كلمة بالجملة المرسلة أو الحرف قبل الأخير خاصة إذا كان الحرف الأخير متحركا. كما يجب توخى الحذر باستخدام أية لازمة كلامية.

الحـركة:

هو ما يعبر عنه جسم الإنسان أثناء الإرسال سواء واقفاً أو جالسًا. والجلوس والوقوف هم أساس فى الانطباع الأول للحديث حسب المكان أو المتلقى .. فيجب مراعاة ذلك:

- الاستقامة فى الوقوف أو الاسترخاء .. يكون ذلك حسب نوع الحديث والمتحدث إليه.
- كذلك الاستقامة فى الجلوس أو الاسترخاء وأيضا حسب نوع الحديث والمتحدث إليه.
- استخدام اليدين بالشكل المناسب ويفضل عدم الإكثار بالتعبير بهم إلا فى الوقت المناسب والشكل اللائق.
- وكذلك التعبير بالوجه (العيون والحواجب).
- وعمومًا يجب أن يترك انطباع استخدام التعبير بالحركة صفات .. الثقة بالنفس .. الشكل المهذب فى الحركة – وهى أدوات مهمة فى الذكاء الاجتماعى.

رابعًا: فن الاستقبال والإرسال:

إن فن الاستماع والاستقبال لا يقل أهمية عن فن الكلام.

- استمع أكثر مما تتكلم.
- إظهار تعبير الاهتمام عند الاستماع.
- عدم الانشغال بشىء آخر.
- اللياقة فى طلب إعادة الكلمة أو الجملة.
- عدم مقاطعة المتحدث أو أخذ الكلمة منه لتكملتها.

- المحافظـة على التواصـل مع الآخـر والآخـرين .. بكافة الحواس.

أما الإرسـال وقـد ذكر فى بنـد النطـق والحركة معظم آداب الإرسـال.

الإنســان بين القيمــة .. والقــدوة

حكمة

إذا أردت أن تكـون قيمـة ..
فعليـــك بالعمـــل
أما إذا أردت أن تكون قدوة ..
فاتبع الحسن فى أداء العمل

أحمد رجائى عطية

الإنسان قيمة .. وقدوة

قال تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) صدق الله العظيم سورة القمر الآية (49). إن هذه الآية تعنى أن الإنسان خلق بحسابات مقننة وكل جزء بل كل خلية بالجسم لها عمل وتخدم باقى الجسم بالكامل .. ولو عرف الإنسان قيمة هذه الأشياء لعرف قيمة نفسه .. ولا يملك غير كلمة .. يا الله.

القيمة:

خلق الله ما هو خارج من الأرض متجسدًا فى الإنسان والحيوان والنبات والطير والحشرات. وكما نعلم أن الملائكة خلقت من نور. ونعلم أن إبليس خلق من نار وهو غير مرئى. قال تعالى: (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين). سورة ص الآية (75-76) وتتكون النار من عناصر الأكسجين والأيدروجين.

وكل ما نتج من الأرض عبارة عن مجموعة من المعادن ومنها النفيس والرخيص .. إلا أن الله ميز واصطفى الإنسان بأنه ناطق وأعطاه جهازًا يتميز به داخل رأسه وهو المخ قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) صدق الله العظيم سورة فاطر الآية (32) وهو الذى يتلقى المعلومة ثم يرسلها مكتوبة أو مقروءة أو حركة. وبهذه الميزة وهى التفكير عن طريق المخ والكلام .. جعلت الإنسان يبدع ويبتكر ويتغلب على المصاعب .. بل بهذا المخ والوجدان أعطاه الله بعض صفاته المجردة مثل الرحمة والجبروت .. الخلق والإبداع (وليس هنا خلق الإنسان .. إنما الاختراعات الحديثة) وغيره من أسماء الله الحسنى.. إلى أن وصل ما وصل إليه الإنسان الآن فى مجال الزراعة والصناعة والتقنية وعلوم الفضاء.

ومن هنا أصبح الإنسان ذا قيمة .. قد يجهلها الإنسان .. وإن فكر فيها .. فغالبا لا يقدر هذه القيمة التى يعيشها والتى وهبها الله له قال تعالي: (إنا عرضنا الأمانة علي

السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) صدق الله العظيم سورة الأحزاب الآية (72).

إن الإنسان قد يعرف هذه القيمة بشكل عابر .. لكن إذا عدها لنفسه ولغيره .. وذكر النفس بها دائما .. سيعرف قيمة نفسه وقيمة الإنسانية جميعاً.

والقيمة كمبدأ .. هى الإطار الذى يظهر به الإنسان – وفى باطنها هى القدوة والمقدرة التى بداخل الإنسان وكلما سمت القدوة والمقدرة ارتفعت قيمة الإنسان وكلما انحطت .. انحط الإنسان.

ومن خلال معرفة الإنسان للقيمة التى وهبها الله له يمكن توجيه طاقته وآليته فى الحياة من سلوك ومبادئ إذا طبقها .. أمكنه أن يظهر بالشكل اللائق بين نفسه وبين مجتمعه.

إذًا القيمة المعطاة للإنسان يجب أن تكون أولى مكونات العقل لمخ الإنسان (على اعتبار أن كلمة عقل .. تعنى التحكم).

ويجب معرفة هذه القيم بدون تهويل أو تقليل .. بل بشكل وسطى .. حتى لا يصاب الإنسان بالغرور أو التهوين بينه وبين نفسه .. والذى بالتأكيد سينعكس عما حوله .. فيخسر نفسه لأن التهويل يصل بالإنسان إلى الغرور .. وهى صفة مذمومة – أما التقليل فهى تفقد الثقة بالنفس – أما الوسطية فهى

الاتزان بعينه والقيمة تكمن فى مقدرة الإنسان على ما يؤديه والعمل القادر عليه والفكر الذى يخرجه .. فكلما كان العمل متقنا والفكر نافعا لنفسه ولما حوله كانت القيمة كبيرة للإنسان نفسه – أما نوع العمل أو الأداء أو الفكر ليس له دخل برفعة القيمة أو انحطاطها .. بل أسلوب الأداء ودقة ومهارة الأداء هى التى لها دور فى رفع القيمة للإنسان أو انحطاطه.

فليس هناك فرق فى قيمة ما يؤديه الطبيب تجاه مرضاه .. وبين الفلاح تجاه زراعته .. إلا بدقة وأمانة الأداء فقول الله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات آية (13).

وقول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم -: (لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى). لأن الاثنين يؤمنون بالله .. ولكن الفرق هو التقوى أى أداء وأسلوب الصلة بالله.

لكن ليس الدقة فى أداء العمل فقط – بل هناك السلوكيات المصاحبة لتقنية العمل نفسه .. فلا يصح أن يؤدى الطبيب عمله ويصاحب ذلك تصرفات أخرى غير لائقة أو استغلال مهارته فى المغالاة فى أتعابه أو التشكيك فى أعمال زملائه أو ..أو.. أى أن العمل متكامل فنيا واجتماعيًا وأخلاقياً.

كلما عرف الإنسان القيم والقدرات التى بداخله اعتز بنفسه ويشجع ذلك بالحفاظ عليها .. وعليه أن يبتعد عن كل ما يقلل من هذه القيمة – وبقدر ما يحتفظ الإنسان من قيمة وبقدر ما يحملها .. يزداد احترام الناس له ويزداد احترام الشخص لنفسه.

ولكن كيف يحتفظ الإنسان بالقيمة؟

يستطيع ذلك بإتباع ما يأتى:

- البعد والتجنب عما لا قيمة له من البشر.
- تزكية النفس عن الإسفاف.
- تجنب الحديث أو الفعل فيما يذهب بالعقل.
- التحلى بالصفات الحميدة والبعد عن الخبائث.
- الحياء فى التصرف والمعرفة.

ولكن هناك قيم ذاتية وقيم مكتسبة. فالقيمة المكتسبة تكلمنا عليها وهى الفعل والأداء .. وهى ما يتحكم فيها الإنسان لممارستها وعقلها.

أما القيم الذاتية .. فهى موهبة من عند الله عز وجل .. وهى صحة الإنسان .. والسمع والبصر .. بل وكل جزء فى الإنسان صغيرًا أو كبيرًا يؤدى دوره الطبيعى.

وكل شىء فى الإنسان ما هو إلا قيمة وأمانة وضعها الله ويجب الحفاظ عليها طوال حياته وهى ترفع من شأن الإنسان. ويجب ألا نفرط فيها بأى شىء ضار .. يذهب أو يضعف هذه القيمة. والحفاظ على القيم الذاتية هنا .. ليس حفاظا ماديا فقط بل حفاظاً

وجدانياً ونفسياً فالسمع والبصر يجب أن تساعدهم على التقاط ما هو مفيد وتبعد عما يؤذى المشاعر والوجدان.

ومخ الإنسان يجب أن يبتعد عن كل ما هو مدمر لخلاياه مما هو مذهب الوعى – وأن يحافظ على ملئه بالماديات المفيدة من علم وثقافة.

ولكن يبقى سؤال هل هناك علاقة بين القيمة والقدوة؟

والجواب أنه إذا تسامت القيمة عند الإنسان وحوَّل هذه القيمة إلى عمل أصبح الإنسان قدوة وأصبحت هذه القدوة مثلاً يحتذى به .. لأنها مست ما حوله بالتسامى والرفعة.

القدوة:

أن تكون ذا قيمة .. فهذا رائع بينك وبين نفسك .. مما يجعل تصرفك متزنا .. وهادئا وواثق الخطى .. وأهم ما فى ذلك أنك تحاول دائما نتيجة ذلك أن يكون تصرفك مصاحبا للصفات الحميدة والقيم السماوية.

وفى هذه الحالة فإنها تكون بالنسبة للغير ملفتة للنظر ويجعل الذى أمامك محبا لتقليدها ومتابعتها .. وبذلك نكون قدوة للغير.

ونفس الشىء فإنك كإنسان عندما تشاهد وتلاحظ ذلك فى الغير .. فإنك ستتابع وتلاحظ ما يبدو من الغير فإذا كانت حميدة .. فبالتأكيد ستحاول إضافة هذا الشىء.

ولكن هل هذا يلغى شخصية الإنسان المنجذب لهذه الصفات؟ بالطبع لا .. لأن الإنسان بطبيعة ما بداخله فيه من الصفات ما هو حميد وخبيث .. أى أن إضافة أى خصال حميدة إلي الشخص .. ستطرد بالتأكيد الخبيث .. أى أنها تضيف للشخص بجانب ما فيها من حميد ولا تلغى الصفات ككل. قال تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) سورة الحج الآية (40).

ونجد فى هذه الآية الكريمة .. أنه ليس دفع الناس فى العمل فقط .. بل حتى فى العادات ونقل الصفات الحميدة بين الناس وبعضها.

ويجب ألا يستكبر الإنسان النصائح أو المقولات الناصحة .. لأنها أيضا إضافات حميدة.

الإنسان يقابل فى حياته الكبير والصغير .. سواء فى السن .. أو فى التصرفات – ولكن على الإنسان أن يراقب ما هو حميد فى الشخص المقابل ويضيفه إليه. بل يجب عند التعامل مع هذا الشخص أن يخاطب فيه هذه الصفات الحميدة.

بعد قراءة هذا الكتيب .. كيف تجد القدوة داخلك؟

- اجلس مع نفسك وتذكر .. ما وهبه الله لك ..
- حاول التعرف على قدراتك الداخلية لأنها هى التى سوف تحدد أعمالك القادمة سواء بالإيجاب أو السلب.
- كيف تؤدى عملك ومدى دقته وإكساب الصفات الحميدة لعملك سواء أداء حركى أو أقوال أو كتابة – من أمانة وصدق وعفة وحياء.
- فكر فى أفعالك وطباعك وحاول دائما التغير للأفضل.
- كرر محاسبة نفسك مع كل دعاء وصلاة .. على ما سبق ذكره .. وبالذات عندما تضع رأسك للنوم.
- تحدث دائما مع نفسك بإيجابية وردد أنك تستطيع دائما التغيير للأفضل.

قال تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) سورة النساء الآية (5).

قال تعالى: (من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) سورة فصلت الآية (46).

قال تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) سورة الفرقان الآية (63).

قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) سورة فاطر الآية (28).

ويبقى سؤال مهم:

كيف تربى القيمة والقدوة فى الإنسان؟

إنها فى الحقيقة تغرس وتنمى فيه منذ الصغر ومقومات هذه التربية تنحصر فى:

الحياء: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(الحياء شعبة من الإيمان) تربية الحياء لدى الطفل .. وهى ليست بكلمة الحلال والحرام فقط .. بل هناك التصرفات العادية اليومية سواء الجلوس أو الكلام – دخول البيوت والخروج – ارتياد الأماكن العامة .. والعفة فى الكلام .. والتواضع فى التعامل وغيرها من الآداب العامة.

الرحمة: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-(الراحمون يرحمهم الرحمن) .. فالرحمة مطلوبة فى كل فعل أو قرار – ومظاهر الرحمة تزيد الإنسان قوة. والرحمة ليست فقط العفو عند المقدرة – ولكن أيضا فى مجالسة البسطاء وفى سيرك وسط البشر وإحسانك وقولك وحتى فى قتالك للعدو. الرحمن اسم من أسماء الله .. فلو اتبعتها .. أكيد ستكون ربانيا.

العفة: الأغنياء تعرفهم بالعفة فى سؤالهم وأقوالهم وأعمالهم .. وهذا يكفى لتتبع هذه العادة الحميدة.

عدم النميمة .. قال تعالى: "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" سورة الحجرات الآية (12) إن اغتياب الإنسان للآخر من الصفات المذمومة التى تقلل من قيمة الشخص .. وخاصة سيرة الحرمات.

المجادلة .. قال تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" سورة الفرقان الآية (63)- (وجادلهم بالتى هى أحسن) سورة النحل الآية (125).

وليس هناك خصلة تقلل من قيمة الإنسان أكثر من المجادلة .. حيث أنها تستفز من حولك – وليس المجادلة فقط فى الرأى .. ولكن هناك كذلك تكرار الكلام .. والغلو فى علو الصوت.

وهذا القليل من الكثير الذى يجب على الإنسان أن يحذر من الوقوع فيه .. وجميع الأديان والأحكام تتحدث فى ذلك الأمر.

ممن نأخذ القدوة؟

الملائكة ليسوا بالتأكيد خيرًا من البشر .. ولم يترك الله لنا سيرة عنهم. ولكن الله كرم أنبياءه وخلقهم درجات وأورثنا ما أنزل عليهم من نهج .. أسرى به إليهم .. وهؤلاء هم أولى بالقدوة للبشرية.

وفيما عدا ذلك فقد كتب عنهم فى إصدارات عن أعمالهم فيجب قراءة الكتب التى تتكلم عن الشخصيات العامة .. بدءًا من القديسين والصحابة والعلماء وأولى الألباب والمجاهدين.

العمل: قال الله تعالى: (من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) سورة فصلت آية (46). ويستحث الإنسان فى نعومة أظافره على ذلك .. وإشعاره أنه واجب مثل الدين وطاعة الوالدين – والعمل بالنسبة للطفل ليس المذاكرة فقط .. بل الرياضة التى يمارسها .. والهواية المحببة إليه .. كل هذا يجب أن يحدد بالتوقيت المناسب والالتزام بالمواعيد وحسن الأداء فيها وتهيئة الجو المناسب .. ومتابعة وتشجيع المسئولين عليها .. واهتمام أقرب الناس للطفل بهذا العمل .. وفى هذه الحالة يصبح للعمل عند الإنسان قيمة.

الرمز: هناك رموز فى حياة الإنسان .. وهى رموز مادية ومعنوية فى حياتنا .. ومن الصعب تجنبها أو الابتعاد عنها ويجب علينا ألا نقلل من قيمة الرمز فى حياتنا. حيث من الصعب استبداله أو تجنبه .. لأن ذلك يخلق انفصامًا فى الشخصية .. حيث إن الطريق إلى ذلك التجاهل أو خداع الآخر عن الرمز فى النهاية هى حقيقة واقعة وموجودة ولا يحمد عقبى ذلك على الطفل .. وهو نفسه الشاب والرجل فيما بعد.

ولكن ما الرموز فى حياة الإنسان؟

تتمثل فى النقاط الآتية:

(أ) الوطـن: وهو من أهم الرموز فى حياة الإنسـان ويتمثل فـى أشياء كثيرة – فيجب أن نجعل الطفل يحب علم بلده ويقتنيه .. ويرفعه فى المناسبات الجماعية وبالذات الوطنية وما أكثرها! وجبال وصحارى ومزارع وطن الإنسان .. يجب أن يسير فيها ويتعايش فى مختلف مناطقها .. ويقف عند تاريخ الأمكنة .. وعند جغرافيتها وأهميتها .. وكذلك الوقوف على أبطال تاريخ بلده ورجال الدين منهم والعلم والمعرفة.

وأخيرًا النيل الذى يجب أن يعرف خيره علينا وأهميته وتعايشه معنا على مدى الدهور والأزمنة. وبالتأكيد عندما يتعايش مع هذا كله فإنه سوف يشعر بالانتماء إلى وطنه وأهميته وسيتعلم كيف يغير عليه .. لأنه خُلق له ولأجداده ولأحفاده .. وسيعرف كيف يحميه.

ب) الأسـرة: وهـى الـوطن الأصـغر .. وهـى ليست الأب والأم والأخـوة .. بـل ذوى القربى .. صغر أو كبر سناً أو مقامًا – وكذا من لأسرته ولاية عليهم وليسوا أقرباء .. أو من كان له ولاية على الأسرة – هذا هو الوطن الأصغر.

والمطلوب التواصل والرحمة فيما بينهم والاحترام من الصغير للكبير والعطف من الكبير على الصغير. وعودة مأثورات الألقاب التى اندثرت مثل خال وخالة وعم وعمة .. وأبيه للأكبر وسيدى وستى للأجداد .. تجعل الإنسان رغم كل شىء يقف عند آداب هذه المسميات – حتى لو لم تكن للخال أصلا أو للعم .. وهذا ليس فيها فقير أو غنى. وقمة الوبال للطفل لو كان هناك انفصال بين الأب والأم .. وهنا يجب التنويه على أن يكون الاحترام والمودة والرحمة سائدًا بين الأب والأم المنفصلين بشكل بارز ومميز .. حتى يشب الأطفال أسوياء.

هذا من ناحية علاقة الأفراد بعضهم البعض – ولكن هناك علاقة الفرد بالمكان الذى نشأ فيه سواء الحى أو البيت فإنه يجب أن يربى الفرد ويشب على أنه ليس المهم إن

كان يأكل على سفرة أو طبلية .. المهم أن يتعلم شرف ما أكل عليه من حلال .. وأنه سمى باسم الله على طعامه .. وحمد ربه بعد أن أكل .. كل هذه قيم .. يجب الحث على الاعتزاز بها.

جـ) المدرسة: وهى الضلع الثالث لمثلث القيم عند الإنسان .. بل هو أخطر هذه الأضلاع. وهو يشكل مع الأسرة ثنائيا من القيم لو انكسر أحدهما انكسر الآخر.

وغالبا إذا تُرِك للطفل أو للأسرة التجرؤ على المدرسة فإنه عند سن البلوغ سيتجاسر على الأسرة حتى ولو بشكل سلبى لأنه تعود على التجاسر على القيم.

وإن كانت الأسرة تشكل قيمة للطفل متمثلة فى الأب والأم بشكل محورى ورئيسى وباقى الأسرة تأتى بدرجات كبيرة ومتفاوتة .. وقد لا تأتى أصلا فى حالة العزلة – إلا أن المدرسة بكامل مشتملاتها بدءًا من السائق للمشرفة للأمن والإداريين والمدرس والمدير .. يشكلون قيمة هامة لدى الطفل وهذا يشكل صعوبة لكى تعزف هذه المجموعة سيمفونية واحدة. لذا وجب على المسئول كل فى مكانه داخل المدرسة مراعاة أنه قيمة وقدوة لما يتعامل معهم من أطفال.

وتنحصر التصرفات السلبية فى الآتى:

– التصرفات غير السوية فى الملبس أو المظهر.

– الألفاظ وأسلوب المخاطبة.

– الدروس الخصوصية .. حيث تنحدر العلاقة إلى الماديات.

– التقاعس أو الإهمال فى التحضير أو أداء العمل.

– عدم التواصل مع التلاميذ.

وبالرجوع إلى التعبير السابق أن البيت والمدرسة يشكلان ثنائى القيم لدى الأبناء .. فبناء على ذلك يجب أن يحاول كل جانب أن يظهر بالقيمة المطلوبة .. لأن هذه القيمة هى التى تغرس فى الأبناء.

وفى نفس الوقت عند ظهور أية سلبية يجب على الآخر (البيت والمدرسة) أن يراجع الأول بأسلوب المراجعة .. لا الصراع – وبعيدًا عن الأبناء .. وبأسلوب حضارى

لائق .. ومن المهم جدًا عدم انتقاد أى منهم للآخر فى حضور أو علم الأبناء لأن الخسارة فى هذه الحالة هى للأبناء حيث ستنهار عندهم قيمة من حياتهم .. وهم عموما ليس أمامهم غير قيمتين فى الحياة .. وهما البيت والمدرسة.

وكما قلت من قبل فإنه عند انهيار قيمة منهما والتعود على التجرؤ على هذه القيمة أو شاهد ذلك .. فإنه سوف يتجرأ على القيمة الأخرى .. وغالبا عند مرحلة سن البلوغ.

وأخيرًا مقولة الشاعر أحمد شوقى:

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

يجب أن يعمل كل فرد بالمدرسة عند جلال هذه الصفة .. ويجب على البيت أن يربى أبناءه على هذه المعرفة.

الإنســان بين العمر الحقيقى .. والإنجازى

حكمة

إلى رجـال الأعمـال ..

والمثابرين فى أعمالهم لمواجهة ضغوط الحياة

اعلموا أنكم تعيشون عمرين ..

عمـر حقيقــى .. وعمـــر إنجـازى ..

فتـواءموا معهما .. حـتى لا تعيـشوا فى انفصـام.

وما أجمــل أن نعيــش ..

فى حيويـــة العمــر الإنجـــــازى

وخـبرة وحكمـة العمـــر الحقيـقى

أحمد رجائى عطية

الإنسان بين العمر الحقيقى .. الإنجازى

رجال الأعمال والأشخاص المثابرون لمواجهة ضغوط الحياة .. هل يعيشون فى عمرهم الحقيقى؟ .. أم لهم عمر آخر يسمى بالعمر الإنجازى.

– قديما كان هناك عدم التلوث البيئى .. أو الغذائى .. وحاليا العكس تماماً.

– هدوء الحياة ورتابتها وانتظام ديناميكية الحياة .. والآن العكس هو الموجود.

– قديما .. كان هناك قلة الانفعالات النفسية والضغوط العصبية .. والآن العكس أيضا.

أى أننا لو عددنا جميع الجوانب .. لوجدنا أنه فى بداية القرن العشرين أفضل بكثير من نهاية نفس القرن.

ومع هذا كان الكتاب والقصاصون فى بدايات ومنتصف القرن يكتبون فى قصصهم وكتبهم .. واصفين الأشخاص بقولهم .. عجوز فى الخمسين .. أو رجل هَرم فى الستين من عمره .. بل وكانت هذه الظاهرة فى الأفلام أيضا – لكن كتاب هذه الأيام من الصعب أن يوصف من بلغ هذا السن بهذه المسميات.

رغم تقدم الإمكانيات التى تخدم البشرية .. مثل سهولة الحصول على المياه والكهرباء والإضاءة وكثرة وسائل النقل. إلا أنها وسائل لا يملك الإنسان مقدراتها .. فأحيانا قد يبدأ الإنسان يومه بانقطاع المياه .. وقد ينتهى يومه بانقطاع الكهرباء .. وإذا تحرك وملك أكثر وسائل النقل رفاهية .. فإن الطريق الذى يسلكه فى ساعة .. يأخذ ضعف الوقت وما يترتب على ذلك من عراقيل لا تعد .. ونكتفى بذلك لأن الأمثلة كثيرة.

وهذه كلها ضغوط على الشخص فى ذاته وفى وقته .. مما يوجب أن يؤقلم الإنسان نفسه بينه وبين ذاته .. ويرتب أوراقه بالنسبة لعامل الوقت.

وينتج عن ذلك عدم استقرار للوضع الاجتماعى .. حيث لا وقت للأوقات التى كانت تتاح فى الماضى .. حيث الاستيقاظ للأسرة فى وقت واحد صباحا .. أو اجتماع الأسرة على وجبة الغذاء ظهرا .. أو الاجتماعات المسائية للأسرة .. فمنهم من له احتياج لمواجهة أعباء الحياة .. ومنهم فى طاحونة الاستذكار .. ومنهم من هو لاهٍ فى الإمكانيات المتاحة حديثا .. مثل التلفاز .. أو الحاسوب.

كل هذا له ضغوط عصبية على الشخص وعلى المجتمع .. وهنا يشعر الإنسان أنه محتاج لوقت أكبر لتوفير تلك الاحتياجات الإنسانية بجانب المنظومة الجديدة للحياة.

إن رجال الأعمال والمثابرين فى مواجهة ضغوط الحياة .. قد يلزمهم على الأقل يوما يشمل على 36 ساعة وليس 24ساعة – وبما أن اليوم 24 ساعة حقيقة ثابتة فما على هذا الشخص إلا أن يضاعف جهده .. ويكون أكثر تحفزًا لمواجهة تحدى الوقت.

وبما أن اليوم حقيقة ثابتة من المستحيل تغييرها .. وكذا عمر الإنسان هو حقيقة أخرى .. ولكن الإنسان بطبيعته يتكيف مع المتغيرات .. مثل تكيفه مع الحرارة والبرودة والجوع والعطش – فإنه يتكيف مع هذه الظاهرة بالصلابة الداخلية وزيادة ديناميكية حركته فى الحياة .. مما يجعل حياته وإيقاعها لها شكل آخر.

وإذا شبهنا حياة الإنسان وكأنها سوستة (ياى) .. فإن الضغط عليها .. يجعلها فى طردها أقوى .. وكنظرية فى علم الفيزياء .. أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه. وهذا ما يحدث لمسيرة الإنسان المثابر فى حياته.

هنا يظهر لهذه الفئة من البشر عمران .. عمر حقيقى وعمر إنجازى .. وهنا يضطر الإنسان لزيادة الجهد والتكيف. وأن يلجأ لهذا الوضع لمواجهة التحديات .. فتبدو حركته وأداؤه وانفعالاته إلى عمر أقل من عمره الحقيقى.

ولكن ما مقدار هذا العمر .. ؟

مثال (1)

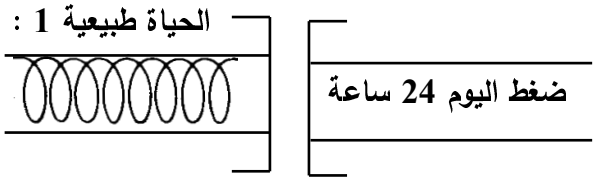

مثال (2)

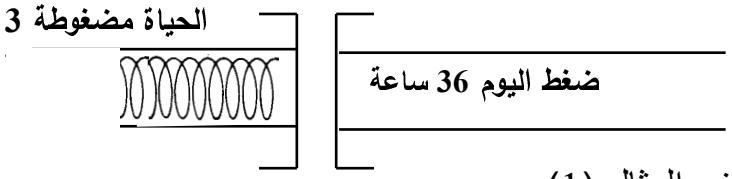

وإذا نظرنا فى المثال (1):

ومثلنا الحياة بالسوستة (الياى) نجد أنها تتعادل مع اليوم 1 : 1

وفى المثال (2)

نجـد أن مع المتطلبات الحياتية يجب أن يكون اليوم 36 ساعة نجد أن السوستة (الياى) تنضغط بنسبة 3 : 2

(وهى مقارنة 36 : 24) وفيزيائيا .. نجد أن السوستة (الياى) أصبحت أقوى لأن لِكل فعل رد فعل.

وأن هذا يتطارد عكسيا مع عمر الإنسان.

وفـى هـذه الحالـة إذا كـان عمـر الإنسـان الحقيقـى 60 عامـا نجـد أن العمـر الإنجـازى 2 × 40 = عاما .. وهكذا.

أى أن حيويـة وديناميكيـة الأشـخاص المثـابرين فـى الحيـاة تظهـر فـى حياتـه بـالعمر الإنجازى وليس بالعمر الحقيقى.

إذا عرف الشخص هذه الحقيقة وعاش هذا السن .. فسيجد الشخص أنه وجد حقيقة نفسه .. وعليه أن يتعايش فى هذا السن حتى لا يعيش فى انفصام.

وما أجمل أن يعيش الإنسان العمر الإنجازى! .. بجانب خبرة وحكمة العمر الحقيقى.

الإنســان مخـير .. أم مسـير

حكمة

إذا كان الإنسان .. مخير .. فإن الاختيار ..

هو فن وأصول التعامل مع من حولك ..

فى الله.

أحمد رجائى عطية

الإنسان مخير .. أم مسير

كسائر البشر فإن هذه القضية تشغلنى على فترات طوال حياتى – وإن كانت فى أحيان كثيرة لا تعنينى كقضية .. حيث إنى من نوعية البشر المحبة لاتخاذ القرار وبشكل تلقائى وفورى .. ولكن لفت نظرى الفئة الكثيرة من البشر الإتكاليين والتى لديها رغبة داخلية أن الإنسان مسير حتى أن الخيار فى حد ذاته مسير فى أنه اختار .. لأن الإنسان بطبيعته لديه رغبة دائمة فى نفض أو تعليق أى خطأ أو فشل عن كاهله أو على شماعة الأقدار .. أما إذا أصاب فى قراره فإنه يشيد بين نفسه وذويه على حسن اختياره.

وقد اجتهدت مؤخرا فيمن هو المخير من المسير .. وبدا لى أن الإنسان بين المخير والمسير – إلا أن عنصر القدر نسف كل ما تم التفكير فيه.

كما أن المثال الحى ومنذ بدء الخليقة .. هو عندما وضع الله لآدم وحواء فى جنتهم الشجرة الممنوعة وترك لهم الاختيار .. فاختاروا ما حرمه الله واختاروا الشعبة المكروهة من النهج .. حيث اتبعوا كلام الشيطان الذى أقسم إلى الله (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) سورة ص الآية (82).

كذلك وجدت المفتاح لهذه الحيرة فى القرآن الكريم نفسه .. وفى أسماء الله الحسنى.

فأسماء الله كلها وهى مجمعة من القرآن الكريم فى وصف الله لنفسه .. وكلها تدل على صفات الله فى بعض الكلمات .. وفى أخرى .. تدل على الإلهية فى الثواب والعقاب .. وفى أخرى القدرة الإلهية اللامنتهية.

ولكن لم أجد بينهم أنه المخير .. أو المسير– بل ترك الإنسان هو الذى يختار ويسير نفسه .. حتى أنه أوصى فى قرآنه الكريم أن لاهيمنة من إنسان على إنسان حتى لو كان نبياً .. وذلك فى قوله: (فذكر إنما أنت مذكر ليست عليهم بمسيطر) سورة الغاشية أية (22/21) ومن أسماء الله ما يحب الله أن يوصف بها عبده مثل الرحيم والكريم .. ومنها ما يذم العبد أن وُصف بها.. بل نهى الله عنها وخص نفسه بها للحساب

والمقادير .. مثل المعز والمذل أو الجبار أو المتكبر .. وترك للإنسان شعبة النهج الذى يختارها.

كما وصف الله نفسه بالسميع والبصير والعليم والحسيب – وهى مقدرة الله على أنه ما من ورقة تسقط على الأرض إلا ويعلمها الله وأنه هو الذى يحاسب العبد على ما فعله .. وترك الفعل للإنسان واحتفظ لنفسه بالمحاسبة على فعل واختيار الإنسان. ولكن الله هو الهادى فأنزل فى قرآنه الكريم ما يهدى الإنسان فى حياته وهو العادل والحق فى حسابه والغفور والصبور على عباده وهناك من صفات الله ما هو واقع من الله فى حياة الإنسان .. وما هو يوصف بإرادة الله أو قدرته مثل القدير والمقتدر – وليس هناك ما هو أدل على صدق ذلك مما هو مذكور فى قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى .. والتى لم يقدر على نبى أن يطيق صبرا.. حتى أخبره سيدنا الخضر بما وراء كل واقعة أو فعل تم بإرادة الله وهو يمثل القدر أو مشيئة الله وفى هذه الحالة هى كلمة من الله أو قدر وضعها الله للإنسان وعليه بعد ذلك أن يختار .. وإن اختار فيجب أن يختار لصفة المناسبة من أسماء الله ومن هذه الأسماء ما هو مناسب للإنسانية ومنها ما هو يخص الله وحده فالله لا يكره أن تكون .. الرحيم ولا الصبور والغفور أو المعز .. ولكنه يكره فى الإنسان ما يخصه هو وحده فى صفاته كالمذل أو المتكبر والجبار وغيره - حتى فى ذلك ترك الله الإنسان أن يختار وأوضح ذلك الله فى قوله تعالى: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) سورة فصلت الآية (46).

نهج الاختيار .. ولكن هل الإنسان وهو مخير .. ما هو البساط الذى ينتهجه فى اختياره .. فإن الصفات التى تحلى بها الإنسان من خيارات آداب القرآن الكريم وتعاليمه وعلاقة الإنسان بربه من روحانيات هى التى تحدد خيار الإنسان وتعطيه الإلهام بما يفعل ولا يفعل وفى هذه الحالة فهو مخير أيضاً لأنه هو الذى اختار شعبة المنهج الذى يسير عليه.. وهو ما نصفه بأنه ملهم .. لأنه بالتأكيد ما يحمله الإنسان من صفات تؤثر على اختياراته.

أما فى مقولة الناس أن الإنسان مولود ومعه كتابه وأن كل شئ مكتوب على جبينه معتمدا على هامش التفسير للآيات، فإن كل المعانى والدلالات تدل على أن الكتاب لكل إنسان هو فى يوم الحساب وعمله هو الذى يحاسبه الله عليه وليس سابق ليوم مولده كما يفسر البعض. قال تعالى: (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) سورة الإسراء الآية (14) .. وإلا ما كان هناك حساب فى الآخرة وجنة ونار أو ثواب وعقاب فى الحياة الدنيا, لكن الأقدار هى التى تسبق مولد الإنسان طوال حياته – وقد احتفظ الله بأقداره ومشيئته – وضرب عليها بألا علم إلا له وحده وهذا هو كتابه فى الدنيا وهذا هو قدره .. وهو خلق الإنسان من ذكر وأنثى وأين ولد وبأى أرض يموت أو أعطاء الحياة أو قبضها قال تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) سورة الإسراء آية (85). فهو المحى والمميت وغيرها من الأقدار التى توضع للإنسان فى حياته .. وهى خصوصيات إلهية لكافة الأنام شاملة كل المواقف التى يتعرض لها الإنسان وعليه أن يختار – حتى الإنسان لا يملك أن يغير فيها وخاصة المكروه منها .. غير أن يقول "اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه".

خلق الله آدم وحواء وأنزلهم الأرض وظلوا على علاقة بالله هما وأنجالهما وأحفادهما .. ومرت أحقاب طويلة .. ضلت الناس وتناسوا طريق الله .. وعندما أراد الله هدايتهم .. وكان ذلك من خلال أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذى شط عن آلهة ذويه.. بأن اتجه إلى القوة التى تحرك الكون فتبادلت اختياراته بين النجوم والقمر والشمس بعيداً عن التماثيل التى يعبدها آباؤه ولكنه ألهم بأن هناك قوة فوق كل ذلك وهو الله ذو العرش المتين ونطقها باسم (يل) وأطلق اسم (إسماع يل) على أول مولود له (إسماعيل) .. أى المنصت إلى الله وأرشده الله إلى الطريق القويم وأعطاه الذرية الصالحة والتى حملت عبر العصور التذكرة بالله .. إلى أن وصلت لموسى وعيسى من خلال المعجزات – وانتهت بسيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام بأن ألقى على عباده كامل أحكامه وعلمه وبيانه فى القرآن الكريم وهو الجامع لما أقره الله فى

الكون من سماوات وأرض ومخلوقات من إنس وجن وحيوان ونبات قال تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) سورة الرحمن آية (4/1).. وتعهد الله على نفسه بحفظه كما قال فى كتابة العزيز: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) سورة الحجر آية (9). وحتى الذين ضلوا المعرفة بالله من قبل الرسل .. هل يكون حسابهم فى الدنيا والآخرة عذاباً .. لا بل إن نهج الاختيار .. هى التى سيحاسبهم الله عليها .. "وما ربك بظلام للعبيد" قال تعالى: (من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها). سورة الإسراء الآية (15).

آداب الاختيار .. وعلى البشرية جمعاء أن تختار بين الحق والباطل وعلى الله الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة – وكلما تقربت للحق واخترته منهجًا فى حياتك تقرب الله لك برحمته فى الدنيا ورضوانه فى الآخرة.

وأينما اخترت الباطل فى المنهج .. فقد ضللت الطريق – وهو ما يسمى بآداب الاختيار.

إذا وفقنى الله فى دفع حقيقة الإنسان مخير أم مسير وهدانى إلى أن الإنسان مخير .. وقد أكون على صواب أو خطأ ولكن هل للاختيار منهج فقط؟ أقول لا .. بل هناك آداب لاختيار المنهج . بل إن أدب الاختيار نفسه له شقين وهو المحمود والمكروه. فإن الإنسان إذا أراد فعل الشئ أو حتى التفكير فى ترتيب ذلك ولم يذكر بين نفسه أو بين الناس بقول إن شاء الله .. فسيكون من العسير أن ينفذ ذلك المخطط أو التفكير – لأن الله هو المهيمن – إذا دعا طلباً من الله بالتوفيق .. فهو السميع والمجيب .. وفى قول الله تعالى: (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سورة الكهف الآية (24/23) تماما مثلما يأكل الإنسان فيجب أن يذكر اسم الله عليها قال تعالى: (فاذكروا اسم الله عليها صواف) سورة الحج الآية (36) ويشكر الله بعد طعامه فهو يحب عبده الشكور .. وهو أحد أسماء الله الذى يجب أن يتحلى به عبده.

كما بين الله فى كتابه الآداب السليمة فى اختياره للمنهج.. أوضح كذلك المذموم فى النهج عندما قال الله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) سورة

النور الآية (21) .. (ولا تمش فى الأرض مرحا) سورة لقمان الآية (18).. (ومن يوق شح نفسه) سورة الحشر الآية (9) .. (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) سورة الإسراء الآية(27) ..(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) سورة الإسراء الآية (29).

وقد أعطانا الله أمثلة من حياتنا فى البشر فى الثواب والعقاب لرد الفعل .. وبقدرته الإلهية بأن أجزم مسبقاً فى الثواب والعقاب لعلمه بما سوف يفعله البشر ويختار .. ففى الثواب وعد الشهداء بالجنة وكذلك من مات عن عرضه أو ماله – كما أنزل الله بشراه إلى آل ياسر عن طريق الرسول .. فى قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) وفى العقاب عندما أنزل فى آياته الكريمة بعقاب أبى لهب فى الدنيا والآخرة قال تعالى: (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) سورة المسد.

رغم أن الله يقبل التوبة لكنه فى هذه الآية يظهر الله علمه بما سيختاره أبو لهب وامرأته – رغم أن عكرمة بن أبى جهل أو أبو سفيان أو غيرهما لم ينوه عنهم لعلمه المسبق أن الله سيفتح عليهم فى يوم من الأيام بالإسلام وأنه سيكون هذا اختيارهم .. لما سيحملهم بعد ذلك من أقدار.

وأخيرا.. إذا اتبع الإنسان ما أتى به الله من أسمائه وهى تسعة وتسعون اسما وربط ما يسمح الله لعباده بأن يوصف به .. ويتبع ما يفسره فى آيات الله بالقرآن الكريم – وما خص الله به نفسه وتفسير ذلك بالآيات الكريمة .. فإن الإنسان سيعرف تماما هل هو مسير أم مخير .. وما يتبعه من نهج.

إن للإنسان فى حياته اليومية وقائع كثيرة .. وعليه أن يختار – إن هذه الوقائع هى مقدرات العزيز الحكيم وعلى الإنسان أن يختار. ولكن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء.

ولكن على أى أساس يهدى الله أو يضل عباده .. فإن الإنسان الذى يتبع الصفات الحميدة الذى ذكرها الله فى كتابه العزيز والتى يدعو إليها عباده الصالحين مثل القناعة والأمانة والتواضع والصبر والعفة عن النزوات .. وغيرها كثير.

فإن الله يهدى العبد إلى ظلمات الطريق القويم .. ويكافئه على سلوكه وعلى اختياره .. بل وفى بعض الأحيان يعتقد الإنسان انه وقع فى مكروه .. ولكن الله يكون قد كافأه وهداه ولكن بشكل غير مباشر كما فى قوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ..) سورة البقرة (216).

إما إذا اتبع الإنسان خطوات الشيطان وهى ما نهى الله عنها فى كتابه العزيز مثل الجشع والحقد والغيرة والغيبة والطمع والتعالى .. فإن الله يضل عبده عن فعل ما هو خير له (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌ لكم ..) سورة البقرة الآية (216).

بل إنه لا يكفى أن يختار الإنسان النهج السليم فقط .. بل يجب أن يدعو الله فى أن يوفقه أو فى نجاته .. فإن المثال فى دعوة سيدنا يونس وهو فى ظلمات بطن الحوت .. يبين عظمة الله فى الاستجابة لمن يتقرب له .. (فهو المجيب الواسع الحليم الودود). وفى هذا كله هو حساب الله فى الدنيا والآخرة .. فهو المقيت والرقيب والمحصى والحسيب والغفور والمنتقم الجبار.

إن الاختيار .. هو فن وأصول التعامل مع من حولك فى الله.

وما أروع القرآن عندما وصف الأقدار والمواقف فى حياة الإنسان وكأنها طائر يتحرك فى سماء الإنسان يسجل الإنسان بها كتابه للمحاسبة يوم القيامة – والأمر الربانى بأن يقر الإنسان حياته .. حيث لا حسيب على النفس فى كل لحظة إلا الإنسان نفسه وذلك فى قوله الله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورًا. اقر كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) سورة الإسراء الآية (14/13).

الإنســان بين المـلء .. والتفـريغ

حكمة

إذا تفرغت اللغة العربية من مضمونها .. فسوف تتفرغ العروبة من مبادئها.

إذا تفرغت الثقافة من مبادئها .. فسوف تتفرغ العروبة من وجدانها.

وإذا تفرغــت الأرض مــن خــيراتها .. فســوف تعــيش الشعوب العربية لاجئين على أرضهم.

لقد تفرغ الكل من الكل .. وعلينا إعادة الملء.

أحمد رجائى عطية

الإنسان العربى .. بين الملء .. والتفريغ

منذ خلق الله الإنسان وأسكنه الأرض .. وهو محاط بالمخاطر .. وتجلى ذلك فى قوله الله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) سورة البلد الآية (4) .. وقال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) صدق الله العظيم سورة الأحزاب الآية (72). فكانت أولى هذه المخاطر هى الطبيعة من حرارة وبرودة وأمطار وصواعق وسيول .. ثم تلتها الحيوانات المفترسة .. وغيرها.

إلى أن تكاثر الإنسان .. فأصبح هو نفسه خطر على نفسه وعلى الغير .. مع أن الخطر الرئيسى على الإنسان هو الشيطان الذى راهن ربه حين أقسم بإغواء العباد قال تعالى: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) سورة ص الآية (83/82).

ومع مرور الزمن أصبح الإنسان فى عائلات ثم قبائل وعصبيات .. وقد اختلفت بينهم المصالح والأفكار والعقائد .. حتى تضاءلت قيمة العداء الأساسى للإنسان ..ألا وهو الشيطان قال تعالى: (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين) سورة البقرة الآية (36) .. وإن كان الشيطان هو نفسه المحرك الأساسى لأى عداوات بين البشر.

الدولة:

مع تطور الزمن أصبحت تتكاثر هذه القبائل لتتجمع فى شكل منظم لها حدودها الجغرافية حسب مصلحتها .. تحكم فيما بينهم بقوانين وشرائع .. وهى ما يسمى بالدولة .. والدولة هنا هى الركن الأول فى تشكيل الوطن .. أى الركن المادى – أما المعنوى فهو اللغة والعقيدة والثقافة .. وهو الركن الثانى للوطن.

وأصبح الوطن له قدسية مادية وقدسية معنوية أوروحية وما بين الماديات والروحانيات المرتبطة بمصالح الوطن الواحد صارت هناك صراعات لا تنتهى –

وانتهى الأمر بأن المصلحة العليا هى الوطن .. وذابت القبلية والعنصرية والعقائدية أمام كلمة الوطن. وذابت القدسية الروحية أمام القدسية المادية .. أى الوطن الواحد.

ولكن منذ أكثر من 1400 عام وبظهور الدين الإسلامى وانتشار اللغة العربية بجانب الدين الإسلامى فى عدة أوطان وانتشار ثقافة الإسلام بتعاليمه .. وقد حددت هذه الأوطان جغرافية المصالح المشتركة .. وهنا ولأول مرة تسمى مجموعة من الأوطان باسم لغتها وهى الأمة العربية – ولم يسبقها أو تبعها هذا الاسم وهى كلمة أمة فى أى تجمع وطنى وكان العامل الرئيسى لهذا التجمع هو اللغة – وتقاربت هذه الأوطان من بعضها نتيجة اللغة والثقافة والمصالح الجغرافية .. لدرجة أنه فى الإمكان أن تقول الوطن العربى .. كما تقول الأمة العربية حتى الدول التى اعتنقت الإسلام ولم تعتنق اللغة العربية يطلق عليها العالم الإسلامى متضمنة الأمة العربية .. لكننا لا يمكن أن نقول عما سبق الأمة الرومانية أو الإنجليزية.

بل الإمبراطورية .. ولا على التجمعات الحالية الأمة الأوربية أو الأمريكية بل الاتحاد الأوربى أو الولايات المتحدة الأمريكية.

وهنا استفردت الأوطان الناطقة باللغة العربية وما يتبعها من ثقافة اللغة وتقاليد بكلمة الأمة العربية.

وقد فطن العالم أجمع وخاصة العالم الغربى إلى خطورة هذا التجمع الكبير وهو الأمة العربية .. والذى وقف للأمة العربية بالمرصاد وقد وجدت الصهيونية العالمية ضالتها فى هذا العداء .. فكان تواجدهم مجتمعين فى مصلحة مشتركة.

لقد وجد الغرب نفسه فى خطر من هذه الأمة عندما صار المد العربى ووصل إلى حدود فرنسا الجنوبية من جهة غرب القارة الأوربية وإلى حدود بولندا من شرق القارة. فهى لم تنس هذا أبدًا واستغلت الحرب العالمية الأولى والثانية لتقسيم هذه الأمة إلى أوطان مرة أخرى حين وصلت هذه الأمة تحت الحكم العثمانى (600عام) على درجة كبيرة من الضعف فى آخر أيامها.

وبعد أن قسم الغرب هذه الأمة إلى دول وزرعت فى قلبها حامياً لهذا التقسيم .. ألا وهى الصهيونية .. ولم تكتفِ بهذا التقسيم .. بل تحاول جاهدة حاليا تجزئة المقسم .. وتقسيم المجزأ.

وهذا ظاهر بوادره حاليا فى بعض أوطان الأمة العربية مثل فلسطين والسودان والعراق .. وهناك تمهيد يجرى على أرض مصر ولبنان والجزائر.

لقد نجح الغرب فى تقسيم الأمة إلى أوطان متفرقة وزرعت الصهيونية للحفاظ على ذلك .. ولكن يتم الآن المحاولة إلى تقسيم الوطن الواحد إلى دويلات. بل ومحافظات لقد درس العدو أسباب تواجد هذه الأمة ولم تجدها إلا فى عنصرين الأول اللغة .. والثانية الثقافة.

اللغة:

هى التى انتشرت بانتشار الدين الإسلامى حيث نزل القرآن الكريم بلسان عربى – وحتى الديانات الأخرى من مسيحيين أو يهود .. اختلطوا بالعربية وصارت لغتهم الأصلية .. حيث إن القدسية المادية وهى الوطن .. ذابت فيها كل الأديان وقد ظهر هذا حاليا فى مصر أو بلاد الشام والمغرب.

إن لغتنا العربية غنية بمفرداتها وتعبيرها .. حتى الكلمة الواحدة لها أكثر من معنى فى موقع الجملة – بل إن من غنى لغتنا أصبح للكلمة نفسها القوة التى تؤدى إلى تعميق المعنى .. وتتمتع الجملة العربية بواقع موسيقى يعمق المعنى أيضا .. والمعروف أن المصدر الأساسى لهذا كله هو فى قراءة القرآن الكريم.

الثقافة: تتجلى ثقافة المجتمع فى الملبس وأسلوبه .. والمأكل وطريقته .. والتحدث وآدابه .. وأعراف الزواج والأسرة والجار والمجتمع .. ومظاهر الحزن والفرح .. والمسكن وتقاليده .. إن الأداء لكل هذا وغيره كثير هو نتاج ثقافة المجتمع وقد تختلف من مجتمع لآخر داخل الوطن الواحد .. إلا أن تقاربها يجعل التعايش بين المجتمعات فى الوطن الواحد سمه من سمات أصل هذا الوطن– حيث إن ثقافة المجتمع تأتى من

المعتقدات الدينية والعادات المتوارثة .. وكلها فى الأمة العربية من ديانات سمحة وعادات مسالمة وأعراف متحابة تتواءم مع بعضها البعض منذ آلاف السنين.

وإن كان هناك بعض الفروق فى هذه الأعراف نتيجة العرقيات التى يتكون منها الوطن الواحد .. كذا الفروق الطفيفة نتيجة المعتقدات الدينية .. إلا أنها تواءمت أمام المصلحة المادية وهى الوطن .. وتجمعت هذه الأوطان لتشكيل أمة واحدة.

الملء .. والتفريغ: إن دعامات الأمة العربية هى اللغة العربية والثقافة – وبعد إن استطاع العدو الأوحد للأمة العربية وهو الغرب والصهيونية إلى تقسيم هذه الأمة إلى دول وأوطان .. صار لها هدف تالٍ وهو تجزئة المقسم.

ولن يتحقق لها ذلك إلا بتفريغ الوطن الواحد من مضمونه والذى يتمثل فى اللغة العربية .. والثقافة .. والأرض.

إن صور الاستعمار الجديد هى:

تفريغ اللغة من مضمونها.

تفريغ الثقافة من مضمونها.

تفريغ الأرض من مواطنيه.

تفريغ وجدان المواطن من الأرض .. ليعيش لاجئاً على أرضه.

اللغة العربية:

وهناك طريقتان لتفريغ الأمة العربية من لغتها.

الأولى: وهى تفريغ الكلمة من معناها – وعلى سبيل المثال .. لقد بات واستقر فى وجدان الإنسان العربى نتيجة تقاليده .. ودينه أن الدفاع عن المال والعرض والأرض هو جهاد مشروع .. بل وفى دياناته أنه شهيد له الجنة .. ولكن الآن صار العدو يرسخ فى الأذهان أن من يدافع عن الأرض أو العرض يعنى إرهاب وأن من يمارس حقه فى ذلك فهو إرهابى.

وأن من يمارس فينا القتل والسفك والطرد من أراضينا وتهجيرنا من أرضنا .. فهو رجل حق مادام يرفع شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان .. حتى لو كان هذا الإنسان

هو المعتدى نفسه .. فأصبحت حقوق الإنسان للمعتدى فقط وكُرِمَ بيننا على أنه رجل حق وعلى مشهد من العالم.

كما فُرغ السلام من مضمونه ليصبح استسلاما .. وأن السلام لا تحميه القوة .. بل يحميه الخنوع والذى صار شعارًا للحكمة.

لقد كانت كلمة التجارة تساوى الأمانة لما أُمِرتْ به أعرافنا وديننا .. لكن صار تعميق أن التجارة تساوى شطارة لا يحدها أى مبدأ أو قوانين.

حتى شهامة الموقف حل محلها ندالة الموقف ولا حياء .. عندما تراقص بالسيف أحد ملوك العرب مع رئيس دولة اعتدى على وطن عربى – وعندما حاصرت بعض دول عربية شعب غزة مشاركة للعدو الصهيونى وأصبح العمل الوطنى خيانة – والتعامل مع العدو تطبيع.

إن الأمثلة كثيرة وكثيرة من تفريغ الكلمة المجردة من معناها أو تفريغ كلمة الموقف من مضمونها– وقد تكاثر الإعلام الغربى والصهيونى وحتى الوطنى فى تعميق هذه المعانى الجديدة البديلة لكلمة الأصل وكلمة الموقف .. حتى صارت وباتت مطمئنة داخل الوجدان العربى وهذا هو التفريغ الأول للغة العربية حتى الآيات القرآنية والقصص التى تحض على ذلك حذفت من مناهج المدارس.

أما التفريغ الثانى أو ما يسمى بالتفريغ الكامل .. وهو إحلال لغات أجنبية محل اللغة العربية .. سواء ذلك فى التحدث أو عناوين المنشآت وملابسنا ويتم ذلك التفريغ عن طريق التعليم والتعاملات اليومية تجارة وصناعة.

الثقافة كما ذكرت من قبل أن ثقافات الأعراق والأديان داخل الوطن العربى قد تواءمت داخل الوطن الواحد .. بل وداخل الأمة العربية لتتعايش مكونة أمة عربية واحدة وذلك بالتنازلات والتسامح فيما بينهما.

ولكن لكى يجزئ العدو المقسم من الأمة .. لجأ إلى إحياء الخلافات العرقية ودق الإسفين بين الأديان .. بل تعميق الهوّة داخل الدين الواحد وتقسيمه إلى شيع ومذاهب .. لخلق نوع من الفرقة وعدم التواءم والتى وصلت إلى الحروب الأهلية .. وترهيب

فئة لفئات أخرى وهذا كثير مثل نوبى ودرزى وطوارق وعرب وأفارقة وغيرها كثير والأمثلة كثيرة بين الأديان وحتى فى الدين الواحد.

وقد أطلق الغرب طابوره الخامس للعمل على ذلك الفرقة .. بل إن مخابرات الصهيونية أنشأت وحدات خاصة لهذا العمل وهى تتمثل فى وحده أيجوز .. وخَاروف .. ودجانيم وماكام .. والماتكال .. والوحدة 242 .. والتى تخصصت كل وحدة داخل هذه المجتمعات وتم زرعها لاحياء هذه النزعات وهذا الشقاق.

إن إحياء هذه النزعات يبدل من ثقافة الأمة إلى عدة ثقافات فى المأكل والمشرب والملبس والعادات بدون تواءم بينها والذى تجمع عبر آلاف السنين .. وبالتالى يدفع بثقافته إلى مجتمعاتنا بديلا عن هذه الثقافات.

الأرض: هى جغرافية الوطن .. والتى يتم تفريغها من مفهومها – فإن أهمية جغرافية الأرض والتى تمثل الوطن .. تكونت أساسا حسب منفعة سكانها من هذه الرقعة من الأرض وهى تمثل جغرافية الوطن.

فقد عمد الغرب إلى إفشال ما كانت تنتج الأرض من غذاء .. وقَبِلنَا ذلك إما عن جهل أو عن خيانة أفراد. وأن يصنع ما يحلو له أن يصنع .. لأنه هو المتحكم فى تصنيع المصانع الصانعة لما نريد أن نصنعه .. بل إنه فرض أن تصنُّع ما ينفعه هو كمستعمر .. لا ما يفيدنا نحن كشعب.

وإن تاجرنا .. فإننا نتاجر تحت مظلته باسم التجارة العالمية .. لا كما يمكننا أن نتاجر به بين أوطاننا كافة أو كأمة مع المناطق الحرة.

لقد حاول العدو تفريغ الأرض من المواطن .. مثل ما يتم بالمشروع الإسرائيلى فى فلسطين ويحاول استكماله فى الضفة الغربية وغزة – أو كما فعل فى العراق (7 ملايين مهاجر معظمهم من المفكرين والعلماء) (وخمسة ملايين طفل يتيم) سوف يتم نشأته كما يحلو له أى عدو.

ولكن هناك تفريغًا أكثر خطورة .. وهو تفريغ المواطن من الأرض وذلك بتقليل قيمة الأرض واستغلالها لصالح المواطن وهناك يشعر المواطن أن لا قيمة للأرض التى تشكل جغرافية الوطن.

كل ما سبق كان صور التفريغ التى يتبعها الغرب والصهيونية لإذابة الأمة العربية .. ولكن ذوبان فى ماذا.. حتى هذا لم نكتشف مداه بعد أن قسم الأمة العربية وجزَّأ الأوطان العربية.

ولكن كيف نسترجع الأمة ونحافظ على هذا الاسترجاع.. وهو ما يسمى بالملء.

مع بداية القرن العشرين تم تقسيم الأمة .. ومع نهاية القرن العشرين يتم تجزئة المقسم .. ثم ذوبان المجزئ .. ولكن فى ماذا .. الله وأعلم!

الملء:

أولاً: يجب استرجاع المعنى الأصيل للكلمة التى تغير معناها وذلك من خلال مدارسنا وإعلامنا وكتابنا .. وتحصين التمسك بهذه القيم فى الكلمات التى شوهت معناها.

ثانياً: التمسك باللغة العربية فى إعلاناتنا وخطاباتنا الرسمية ومسميات تعاملاتنا التجارية والصناعية وفى مدارسنا .. وجامعاتنا وهذا لن يأتى إلا إذا فعلنا مثل باقى دول العالم .. ألا وهو ترجمة كل ما هو يصدر من علم وأدب إلى اللغة العربية فإن العلوم والطب والهندسة يدرس فى جامعات إسرائيل بالعبرية وفى فرنسا بالفرنسية وألمانيا باللغة الألمانية .. ونحن لسنا أقل.

لقد كان فى أصل الحضارة القديمة والحديثة هم العرب بلغتهم العربية .. ومازال الكثير من الاختراعات الحديثة يقوم بها عرب ولكن باللغات الأجنبية.

وهذا لا يعنى أن نتجاهل تعليم اللغات الأجنبية فى مدارسنا .. بل هى بالأهمية بما كان .. ولكن نتعلمها للتواصل مع الغرب لا أن تكون بديلاً عن اللغة العربية فى حياتنا وثقافتنا.

ثالثاً: أن نأخذ من ثقافة الغير ما هو مفيد ونضيفها إلى ثقافتنا .. ولكن لا نأخذ ثقافتهم كعقيدة كما يجب أن ننبه مدارسنا وإعلامنا وأدباءنا وحكماءنا إلى ذلك .. ليدرء كل

منهم هذا الخطر المتغلغل فى وجداننا والانتباه إلى الخطورة فى أن المثقفين فى هذه الأمة هم الذين اعتنقوا الثقافة الغربية .. بدلا من أن يعدلوا من ثقافاتنا إلى الأصلح .. فالمسموح هو أن يضيف .. لا أن يستبدل كليًا.

رابعاً: إن جغرافية الأوطان العربية .. يجب أن يعاد عليها توزيع القوة البشرية بما يضمن الأمن القومى العربى والأمن الغذائى والصناعى وخاصة مصر لأنها بمثابة العروة الوثقى بالنسبة للأمة العربية.

كلمة أخيرة .. لقد تفرغت اللغة العربية والثقافة العربية والأرض العربية من جغرافيتها وتضاريسها التى بنيت عليها الكلمة والثقافة والأرض.

فإذا تفرغت اللغة العربية من مضمونها فسوف تتفرغ العروبة من مبادئها.

إذا تفرغت الثقافة من مبادئها .. فسوف تتفرغ العروبة من وجدانها.

وإذا تفرغت الأرض من خيراتها .. فسوف تعيش الشعوب العربية لاجئين على أرضهم.

لقد تفرغ الكل من الكل .. وعلينا إعادة الملء.

خاتمة

كلماتى السابقة التى دونتها فى هذا الكتاب ما هى إلا خبرات وتأملات اكتسبتها من خلال عملى خادمًا لوطنى فى الحياة العسكرية والمدنية ولا أجد حرجًا إن قلت أنها ليست تأملات بل هى نتائج واقعية لحياة نعيشها أحاول أن أنقدها وأبين جيدها ورديئها كى تستفيد الأجيال القادمة من جيدها وأن تعالج الردئ الموجود فيها إن لم يستطع جيلنا فعل ذلك وكتابى ليس بالقرآن فلا يعتريه خطأ وكلامى ليس وحيًا فلا يعتريه خلل وإنما هو كلام بشر يجب قراءته ونقده فإن أحسنت فمن الله وأرجو أن يكافئنى ربى عليه وإن كانت الأخرى فمن نفسى ومن الشيطان وعلى الله قصد السبيل.

اللواء. أحمد رجائى عطية

القاهرة فى: 2009/5/6

محتوى الكتاب

– كلمة للمؤلف.

– الإنســان بين النظـرية .. والتطبيـق.

– الإنســان بين القيمــة .. والقــدوة.

– الإنسان بين العمر الحقيقى .. والإنجازى.

– الإنســان مســير .. أم مخــير.

– الإنســان بين المــلء .. والتفـريغ.

رقم الإيداع 2008/9027

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف